الخرمية

فكريًا وتاريخيًا

للدكتور

محمد سالم بن شديد العوفي

عميد كلية العلوم الاجتماعية

محمد سالم بن شديد العوفي:

- ولد في المدينة المنورة عام ١٣٧٤هـ.
- حصل على الليسانس في التاريخ من كلية اللغة العربية والعلوم الاجتماعية بالرياض عام ٩٣/٩٤هـ.
- عينَ معيداً في قسم التاريخ عام ١٣٩٤هـ.
- حصل على الماجستير فى التاريخ الإسلامى من كلية العلوم الاجتماعية بالرياض عام ١٣٩٨هـ.
- حصل على الدكتوراه فى التاريخ الإسلامى من كلية العلوم الاجتماعية بالرياض عام ١٤٠٢هـ مع مرتبة الشرف والتوصية بطباعة الرسالة على نفقة الجامعة.
- عينَ عام ١٤٠٢هـ وكيلاً لكلية العلوم الاجتماعية.
- ثم عين عميدا لها عام ١٤٠٣هـ
- مؤلفـــاته

كتاب / العلاقات السياسية بين الدولة الفاطمية والدولة العباسية في العصر السلجوقى.

تمهيـــد :

عندما نتعرف على الخرمية، نجد أنهم سموا بهذا الأسم نسبة إلى كلمة «خُرَّم»، وهى لفظة فارسية معناها السرور، وتعاطى ما هو مستلذ، ومستطاب[١]، فنسبـوا إلى هذه اللفظة، لأن ذلك راجع إلى أصل مذهبهم، وهو تعاطى الملذات المحرمة، كما أننا نجد من يطلق على الخرمية اسم «المُحَمِّرة» للبسهم الثياب الحمر كشعار يعرفون به[٢]، وفى رواية لأنهم يصفون من يخالف مذاهبهم بصفة الغباء فيسمونه «حمارا»[٣]، ومعرفة الخرمية لشعار الحمرة لم يكن مقتصرا على عهد «بابك الخرمى» فقط كما أشارت إلى ذلك المصادر السابقة، بل كان معروفا منذ الحركات الأولى للخرمية، كما سنعرف فيما بعد إن شاء الله تعالى.

أول ما ظهرت الخرمية فى بلدة تدعى «خُرّم» أو «خرَّمه» فى رواية أخرى مما جعل بعض الباحثين ينسبون الخرمية إلى هذه البلدة، لهذا يمكن القول بأن تسميتهم بالخرمية جاء نتيجة ما يدل عليه لفظ «خُرَّم» ـ فى الفارسية ـ من معنى يتفق مع أصل مذهبهم! وإلى اسم البلدة التى كان أول ظهورهم بها.

---

(١) سعد بن عبدالله القمى: المقالات والفرق. ط ١٩٦٣م، طهران ص ٤٤، وابوالمظفر الاسفراييني: التبصير بالدين وتمييز الفرقة الناجية من الفرق الهالكين. ط ١٣٧٤هـ (١٩٥٥م) القاهرة تحقيق محمد زاهد الكوثري. ص ١١٨، وأبوحامد الغزالى : فضائح الباطنية ط مؤسسة دار الثقافة ـ الكويت. تحقيق عبدالرحمن بدوى ص ١٤ وأبوسعد عبدالكريم السمعاني: الانسـاب : ١٣٨٢هـ (١٩٦٢م) حيدر أبـاد ، الـدكن، جـ ٥ ص ١٠٤، ياقوت الحموى : معجم البلدان. جـ ٢ ص ٣٦٢.

(٢) الاسفراييني : التبصير بالدين ص ١١٩، وجمال الدين أبوالفرج بن الجـوزى: تلبيس ابليس ـ ط ٢، ١٣٤٧ هـ القاهرة ص ١٠٥، ومحمد ابن الحسن الديلمى: قواعد عقائد آل محمد. ط ١٣٦٩هـ (١٩٥٠م) ص ٣٧.

(٣) الغزالى : فضائح الباطنية ص ١٧.

نقف قليلا عند نسبة الخرميّة إلى «خرّم» أو «خرّمة»، حيث نجد أن المصادر ، كما أختلفت فى نسبتهم إلى أحد هذين الموضوعين، اختلفت كذلك فى موقع كل منهما:

فياقوت الحموى يذكر موقع «خُرَّم» بقوله «هورستاق بأردبيل (ويضيف) وأظن الخرمية الذين كان منهم بابك الخرمى نسبوا اليه»[٤] وتبعه فى هذا التحديد «صفى الدين عبدالمؤمن بن عبدالحق البغدادى» ويضيف: «كأن الخرميين أصحاب بابك اليه (أى خرم» نسبوا»[٥]، وعلى هذا الرأى كذلك «الذهبى» فى كتابه «المشتبه فى الرجال أسماؤهم وأنسابهم»[٦]، أما «محمد بن عبدالله الحميرى»، فيحدد موقع «خرم» بقوله: «خرم موضع بكاظمة وخرم» أيضا مدينة من مدن بلخ بخراسان ، وهي آخر المدن الشرقية مما يلى بلخ إلى ناحية «التبت»[٧] هذا فيما يتعلق بـ «خرم»، أما «خُرَّمَة»، فكذلك لم نعثر على تحديد لموقعها بدقة عند «أبى عبيدالله بن عبدالعزيز البكرى الأندلسى»، حيث يقول: «خرمة بزيادة هاء التأنيث موضع من أرض فارس.. والى خرمة هذه ينسب الخرمية أصحاب بابك»[٨]، ويذكر «ياقوت الحموى» «خرمة» بقوله: «ناحية من نواحى فارس، قرب اصطخر»[٩]، ولا ينسب الخرمية اليها.

والذى يبدو لى أن «خُرَّم» ليس موضعا واحدا أُختلف فى تحديده ، بل أكثر من موضع يُطلق عليه «خُرَّم»، وأن الخرمية ينسبون لـ «خُرَّم»، وليس «خُرَّمَة»: لأنه لو نظرنا إلى خريطة «آسيا الجنوبية الغربية، أيام الخلافة العباسية»[١٠] لوجدنا أن «خرمة» التى ذكر «البكرى» أن الخرمية ينسبون اليها : بعيدة عن المناطق التى تظهر فيها الخرمية فى صدامهم مع الدولة العباسية، وهى مناطق آذربيجان» وجرجان، وطبرستان وهى المناطق

(٤) معجم البلدان جـ ٢ ص ٣٦٢.

(٥) مراصد الاطلاع على أسماء الامكنة والبقاع . ط ١: ١٣٧٣م (١٩٥٤م) تحقيق على محمد البجاوى جـ ١ ص ٤٦١.

(٦) جـ ١ ص ٥٩.

(٧) الورق المعطار فى خبر الاقطار : ط ١٩٧٥م دار القلم ، لبنان، تحقيق د. احسان عباس ص ٢١٥.

(٨) معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع. ط ١: ١٣٦٤هـ (١٩٤٥م) القاهرة. تحقيق مصطفى السقا جـ ١ ص ٤٩٣.

(٩) معجم البلدان جـ ٢ ص ٣٦٢.

(١٠) انظر الخريطة الملحقة بهذا البحث.

المحيطة ببحر قزوين، بالاضافة الى أن البكرى لم يحدد موقع خرمة بدقة لكى ينسب الخرمية اليها هذه قضية.

أما القضية الأخرى فهى: أن خرم ـ فيما يبدو لى ـ التى ينسب اليها الخرمية هى الواقعة «بأردبيل» عاصمة اقليم آذربيجان، وذلك لسببين:

الأول : بعد كلا من كاظمة وبلخ عن المناطق التى ظهر فيها الخرمية كما ذكرنا بينما نجد أردبيل هى عاصمة آذربيجان مركز الخرمية الرئيسى.

والثانى: أن الحميرى عندما حدد لنا «خرم» لم يشر إلى انتساب الخرمية الى تلك المواضع، التى أطلق عليها أسم «خرم» ، وهذا مما يؤيد انتساب الخرمية الى «خرم» أحد رساتيق مدينة أردبيل.

تزايد «الخرمية»، وانتشروا فى أماكن متفرقة من بلاد الفرس: فالى جانب «آذربيجان»، و«جرجان»، و«طبرستان» نرى المسعودى يذكرهم بقوله: «وأكثر الخرمية ببلاد خراسان والرى واصبهان وآذربيجان، وكرج أبى دلف، والبرج الموضع المعروف بالرذ، والورسنجان ثم ببلاد الصيروان، والصّيمرة ، واريوجان من بلاد ماسبذان وغيرها»[(١١)].

كما أن ابن النديم يضع حدودا تقريبية للمناطق ، التى انتشر فيها «الخرمية»، فيقول: «ومناطقهم الجبال، فيما بين آذربيجان وأرمينية، وهمذان، ودينور منتشرون، وفيما بين اصفهان والأهواز»[(١٢)].

---

(١١) المسعودى: مروج الذهب جـ ٣ ص ٣٠٥، والتنبيه والاشراف ط ١٣٥٧ (١٩٣٨م) بغداد تحقيق عبدالله اسماعيل الصاوى ص ٣٠٦ ويبدو لى أن أغلب هذه المناطق؛ انما انتشر فيها الخرمية بعد مقتل أبرز زعمائهم ـ بابك الخرمى؛ بدليل أن المسعودى أورد هذا النص بعد قوله: «وأكثر الخرمية فى هذا الوقت ـ وهو سنة اثنين وثلاثين وثلثمائة ـ الكردكية واللودشاهية... وأكثر الخرمية ببلاد خراسان..» أى أن هؤلاء الخرمية كان معروف أنهم منتشرون فى المناطق التى عددها فى تلك السنة . وبابك الخرمى قتل سنة ٢٢٣هـ (٨٣٧م).

(١٢) أراد ابن النديم بالجبال، ـ حسب ما يفهم من النص ـ المناطق الجبلية الوعرة، التى تنتشر فى الاقاليم التى ذكرها، وليس اقليم الجبال المعروف، الواقع إلى الجنوب الشرقى من آذربيجان كما هو واضح فى الخريطة رقم ١، ٢. الفهرست ص ٤٧٩.

٢ ـ الخرمية فكريا:

بعد أن تعرفنا على الخرمية، من حيث التسمية والمناطق التى كانوا ينتشرون فيها يشدّنا الحديث إلى التعرف على أفكارهم، ومعتقداتهم، التى آمنوا بها ودعوا اليها، وبعد استعراض ما ورد عن تلك الأفكار والمعتقدات تبين أنهم ليسوا فرقة واحدة بل مجموعة من الفرق تلتقى فى الأفكار الرئيسية التالية:

١ ـ القول بالرجعة .

٢ ـ القول بتغيير الأسم، وتبديل الجسم (التناسخ).

٣ ـ الزعم بأن الرسل على اختلاف شرائعهم وأديانهم يحصلون على روح واحدة وأن الوحى مستمر لا ينقطع أبدا.

٤ ـ الاجماع على تعظيم أمر «أبى مسلم الخراساني، ولعن» أبى جعفر المنصور على قتله.

٥ ـ الاكثار من الصلاة على «مهدى بن فيروز» لأنه من ولد» فاطمة بنت أبى مسلم الخراساني.

٦ ـ اتخاذ أئمة يرجعون اليهم فى الأحكام ، وايمانهم برسل يدورون بينهم ، ويسمونهم فريشتكان ـ أي: ملائكة.

٧ ـ تبركهم بالخمور والأشربة، وكانوا لا يتبركون بشئ أكثر منها.

٨ ـ الاعتقاد بالنور والظلمة، أي: وجود الهين ـ على زعمهم ـ يتحكمان فى العالم، اله الخير ـ النور ـ، واله الشر ـ الظلمة ـ.

٩ ـ اباحة النساء، واباحة كل ماتستلذه النفس، وينزع اليه الطبع، محرما كان ذلك أم مباحاً.(١٣)

١٠ ـ ويحدثنا البغدادي عن البَابَكيَّة(١٤) فيقول: «والبابكية ينسبون أصل دينهم إلى أمير كان لهم فى الجاهلية اسمه «شروين» ويزعمون أن أباه كان من الزنج، وأمُّه

(١٣) مطهر بن طاهر: البدء والتاريخ. جـ٤ ص ٣٠ ـ ٣١، القمى ـ المقالات والفرق ص ٦٤، الاسفراييني : التبصير بالدين ص ١١٨، عبدالقاهر البغدادى : الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية منهم ص ٢٤١، ٢٥٢، الديلمس: قواعد عقائد آل محمد ص ٣٧، الغزالى فضائح الباطنية ص ١٤.

(١٤) البابكية هم الخرمية ، وانما سموا بذلك نسبة إلى زعيمهم «بابك الخرمى»

بعض بنات ملوك الفرس، ويزعمون أن شروين كان أفضل من محمد (صلى الله عليه وسلم) ومن سائر الأنبياء وقد بنوا فى جبلهم مساجد للمسلمين يؤذّن فيها المسلمون وهم يعلّمون أولادهم القرآن، لكنهم لا يصلون فى السر، ولا يصومون فى شهر رمضان، ولا يرون جهاد الكفره»[١٥].

تلك هى أهم الأفكار التى تجمع عليها فرق «الخرمية»، بالاضافة الى اجماعها على بعض الآراء والافكار الاجتماعية، وذلك كرأيهم فى أصحاب الأديان المختلفة، حيث يرون أن كل ذى دين مصيب عندهم وبخاصة اذا كان راجى ثواب ، وخاشى عقاب، ولا يرون عيبه أو الحاق الأذى به، مالم يرد بهم ذلك، كما أنهم ينادون بتجنب سفك الدماء الا عند عقد راية الخلاف[١٦]، ومن المظاهر الاجتماعية السائدة بينهم تحريهم للنظافة والطهارة والتقرب إلى الناس بالملاطفة، وتقديم الصنيعة لهم.[١٧].

فهم اذا خليط من الناس لبسوا ثوب الإسلام، ثم أخذ كل منهم فى اظهار حقيقة ما يدين به، فمنهم «الزرادشتى» الذي يدين بالنور والظلمة. ومنهم «المانوي» الذى يرى التقيد بآداب الملاطفة، ورقة المعشر، ومنهم «المزدكى» الذى يتخذ الاباحية أساس مذهبه[١٨] كل ذلك مع التفافهم حول شخصية «أبى مسلم الخراسانى».

وعندما نتأمل تلك الأفكار والمعتقدات نلاحظ أن ايمان الخرمية بالرجعة موافق لما نادت به فرق الشيعة ، كالكربية من الكيسانية ، الذين قالوا بامامة «محمد بن الحنفية» وانه حى لم يمت مختف فى جبل «رضوى»[١٩]، وكبعض فرق «الجار ودية» من الروافض

---

(١٥) عبدالقاهر البغدادى : الفرق بين الفرق ص ٢٥٢.

(١٦) من أجل ذلك يقول أحمد شلبى: «وقد تُسمى «اَلْحُرَمية» بالحاء المهملة لانها تحرم القتل والغصب والحروب والمثلة» التاريخ الاسلامى والحضارة الاسلامية ط ٥ (١٩٧٤م) القاهرة جـ ٣ ص ٢٢٠

(١٧) مطهر بن طاهر : البدء والتاريخ جـ ٤ ص ٣١.

(١٨) انظر عن الزردشتيه، والمانوية، والمزدكية، ما ذكره محمد بن عبدالكريم الشهرستانى فى كتاب الملل والنحل ط ٢، ١٣٩٥هـ (١٩٧٥م) تحقيق محمد سيد كيلانى جـ ١ ص ٢٣٦ ـ ٢٥٠.

(١٩) عبدالقاهر البغدادى: الفرق بين الفرق . ص ٢٣.

الذين يؤمنون بعودة المهدى المنتظر «محمد بن عبدالله بن الحسن بن على ابن أبى طالب» رضى الله عنه[٢٠].

ولا يخفى ما يشير إليه هذا التوافق من سعى «الخرمية» لكسب تأييد الشيعة، ومناصرتهم، وهذه النظرة لدى «الخرمية» نراها فى كثير مما دعت اليه من أفكار؛ اذ نجد أن قولهم بالتناسخ ـ تبديل الجسم وتغيير الاسم ـ وانتقال الروح من جسد الانسان إلى جسد الحيوان.... قد قالت به كثير من الفرق الخارجة عن الإسلام، وذلك «كالبيانة»، اتباع «بَيَان بن سمعان» و«الجناحية» أصحاب «عبدالله بن معاوية بن عبدالله بن جعفر»، و«الخطابية» و«الراوندية» أصحاب أبى مسلم الخراسانى ، كما قالت بذلك القدَرِية والرافضة[٢١] والحِرْنانية من الصابئة، وقيل أن أصل التناسخ نشأ من عندهم[٢٢] يقول الشهرستانى: «وما من ملة من الملل الا وللتناسخ فيها قدم راسخ، وانما تختلف طرقهم فى تقرير ذلك»[٢٣].

كما عرف التناسخ فى الهند وعرف القائلون بذلك «التناسخية»[٢٤] ، كما نجد أن قولهم بالحلول ـ الذى هدف به معتقدوه عدم توحيد الله فى الخلق والتدبير ـ قد اعتقدت به فرق عديدة حصرها البغدادى فى عشر فرق هى: «البيانية، والبيانية، والخطابية، والنميرية، والمقنعية ، والرزامية، والبركوكية، والحلمانية، والعذافره»[٢٥].

كما دخل الاعتقاد بالحلول الصوفية حيث نجد أن أبا المغيث الحسين بن منصور «المعروف بالحلاَّج» ـ وهو من أشهر المتصوفين ـ قد آمن بالحلول واعتقد به.[٢٦].

وعندما نادى «الخرمية» بان الرسل جميعا على اختلاف شرائعهم يحصلون على روح

---

(٢٠) المصدر السابق ص ٢٧.

(٢١) عبدالقادر البغدادى : الفرق بين الفرق ص ٢٥٣ ـ ٢٥٩.

(٢٢) الشهرستانى : الملل والنحل : جـ ٢ ص ٢٥٥.

(٢٣) المصدر السابق جـ ٢ ص ٢٥٥

(٢٤) المصدر السابق جـ ٢ ص ٢٥٥.

(٢٥) عبدالقاهر البغدادى : الفرق بين الفرق ص ٢٤١.

(٢٦) عبدالقاهر البغدادى : الفرق بين الفرق ص ٢٤٦ ـ ٢٤٧.

واحدة ، وأن الوحي لا ينقطع أبدا، أنما نادوا أصحاب الديانات المختلفة من مسلمين، ونصارى ويهود وغيرهم الى تأييدهم فيما آمنوا به وابتدعوه من أفكار ومذاهب، انما هى - كما أدَّعوا - امتداد لأفكار ومذاهب تلك الديانات ، حيث أن رسلهم الذين بَشرَّوهم بذلك، انما هم امتداد لمن سبقهم من رسل؛ لأن الروح انتقلت منهم إلى أن حلت فيهم[27]، فلا فرق بينهم، بل ويجب الإيمان بهم وبما جاءوا به من أفكار.

وكما نرى فقد استغل الخرمية ، كما استغل غيرهم قتل ابى مسلم الخراسانى فى اثارة عواطف الفرس، وغرس الحقد فى نفوسهم ليس على «ابى جعفر المنصور» فقط، بل على الإسلام والمسلمين ، لذلك نراهم يتولَّون » فاطمة بنت أبى مسلم الخراسانى» ، ويزعمون أنه يخرج من نسلها رجل يستولى على الأرض. ويسلب بنى العباس ملكهم.[28]

والخرمية فى تقديسهم لأبى مسلم الخراسانى لا يختلفون عن سنباذ أو الراوندية الذين رفعوا علم الثأر فى وجه الدولة العباسية انتقاما لمقتله ، بل ليسوا أقل مغالاة من اسحاق الترك ، والمقنع الخراسانى والراوندية كذلك، الذين ادَّعوا نبوة أبى مسلم، وبلغ الأمر بالمقنع أن يدَّعى أنه أفضل من النبى صلى الله عليه وسلم.

وبالقاء مزيد من الضوء على تلك الأفكار التى رَوَّجَ ، ودعى لها الخرمية، والافكار التى نادى بها زعماء حركات فارسية سابقة [29] نجدها تتفق فى جوانب أخرى كثيرة مما يثبت أن حركات الخرمية تنهج نفس النهج، وتسعى لنفس الهدف الذى أرادت تحقيقه تلك الحركات؛ فَخِدَاش» يدعو لاباحة الأموال والنساء، التى دعا اليها الخرمية، كما نجد نفس الدعوة تبناها كل من «بهافريذ» و«المقنع الخراسانى».

والخرمية لم تكن الحركة الفارسية الوحيدة التى روّجت لفكرة الرجعة، بل نجد نفس

---

(٢٧) وذلك فى رأيهم الذى ابتدعوا الاعتقاد به وهو تضليل

(٢٨) الوزير جمال الدين أبوالحسن على بن كمال الدين بن ظافر بن حسين الازدى الانصارى: الدول المنقطعة مخطوط بدار الكتب المصرية برقم (٨٩٠) الورقة (١١٠/أ) ، ابن الأثير : الكامل فى التاريخ: جـ ٥ ص ٢٥٤.

(٢٩) مثل : حركة خِدَاش ، وحركة بهافريذ، وحركة سنباذ، وحركة الراوندية، وحركة إسحاق الترك، وحركة استاذسيس، وحركة المقنع الفراسانية، وغيرها.

الفكرة نادى بها اسحق الترك، الذى ادعى أن زردشت حى لم يمت، والمقنع الخرسانى الذى قال بأن «زيد بن على» سيعود ويقتل قاتليه، وكما آمن الخرمية بالنور والظلمة على أنهما أصلين يتحكمان فى العالم، فاننا نجد كلا من «بهافريذ» و«اسحاق الترك» قد دعا الى احياء الديانة الزردشتيه، التى تتخذ من النور والظلمة أساسا لديانتها. وكذلك القول بالتناسخ دعا اليه المقنع الخرسانى كما آمنت به طوائف الخرمية.

وهكذا تتبين لنا الأبعاد والأفكار والمذاهب التى طرحتها طوائف الخرمية، التى تحوى الخليط من الأفكار والمذاهب الفارسية القديمة حيث ترتبط فى ذلك ارتباطا وثيقا بسلسلة الحركات الفارسية المتتالية التى برزت منذ ظهور أبى العباس السفاح مبتدأ خلافة الدولة العباسية، واعلان سياسته الجديدة التى لم يرض عنها أصحاب تلك الحركات المعادية للدين والدولة.

لم تكتف الخرمية بتبنى تلك الأفكار، بل رأت فيما طرحته بعض الفرق المغالية الخارجة عن مذهب أهل السنة والجماعة ـ والتى كانت متأثرة فى أفكارها بما كان سائدا عند الفرس من آراء واعتقادات[٣٠] ـ ما يخدم أهدافها، ويدعم مكانتها، فاحتوت تلك الأفكار، ونادت بها لكى تجد طرقا سهلة ميسرة لقلوب أولئك المغالين المارقين عن الدين الاسلامى، فتبث أفكارها ، وتطرح آراءها، التى امتصت ما سبق الحديث عنه من آراء ومعتقدات منحرفة، وتبلورت بتلك الصورة التى دعوا اليها.

٣ ـ الخرمية تاريخيا :

سنقدم هنا مسحا تاريخيا عاما نلقى فيه الضوء على مجمل الحركات التى يمكن نسبتها الى الخرمية، ويكفى فى تحديد هذه العلاقة أن تنادى حركة ما ببعض الأفكار الأساسية فى الخرمية أو أن ينسبها مؤرخ سابق موثوق به إلى هذه الجماعة.

وفى هذا الإطار فلعل أول اشارة الى الخرمية جاءت فى الحديث عن حركة «عمار بن

(٣٠) حسن ابراهيم حسن: تاريخ الإسلام (السياسى والدينى والثقافى والاجتماعى) ط ٧ (١٩٦٤م) القاهرة جـ ٢ ص ١٧٦.

يزيد»، الذى تلقب بلقب «خِدَاش»، حيث أظهر دين الخرمية، فأباح النساء والأموال، وذلك سنة ١١٨ هـ .

ثم يَرِد ذكرهم مرة أخرى فى أخريات دولة بنى أمية، فى عهد «مروان بن محمد» سنة ١٣٢ هـ (٧٤٩م)، حيث يقول الطبرى أثناء حديثه عن «مروان» فى موقعة الزاب.: «ومع مروان ثلاثة آلاف من المحمرة والذكوانية»[٣١]، ويبدو أن الخرمية فى هذه الفترة عبارة عن جماعة من المرتزقة لم تتشكل كحكركة مستقلة بعد، وفى الحركة التى تزعمها «سنباذ» فى خراسان سنة ١٣٧ هـ نجد الطبرى يذكر أن «غالبية» أتباعه من أهل الجبال[٣٢]، وهى مناطق الخرمية، حيث يذكر ابن النديم أن مناطقهم الجبال[٣٣].

أخذت فلول الخرمية تتجمع بعد ذلك، وتتشكل، لِتُكَوِّن جبهة مستقلة ضد الدولة العباسية، ولِتَظْهر فى حركات باسم «الخرمية».

فتذكر الروايات التاريخية فى أحداث «سنة ١٦٢ هـ » (٧٧٨م)، خروج جماعة من «المحمرة»[٣٤] «بجرجان»، وقيل بخراسان فى حركة مستقلة معلنة، الحرب على الدولة العباسية، وقد تزعم هذه الحركة رجل يقال له «عبدالقهار»[٣٢]، ويسميه صاحب البدء والتاريخ «عبدالوهاب»[٣٦] إلا أن هذه الحركة سرعان ما قضى عليها «عمر بن العلاء» قائد الخليفة «المهدى»، حيث تمكن من قتل «عبدالقهار» وفرق جموعه[٣٧].

ثم ظهرت حركة خرمية أخرى فى «جرجان» فى نفس الفترة وذلك بزعامة رجل ادَّعى

---

(٣١) الطبرى: جـ٧ ص ٤٣٣.

(٣٢) الطبرى: جـ٥ ص ٤٩٥، ويذكر المسعودى أن تحرك سنباذ (بسنفاذ) بجماعة الخرمية ثم مقتله كان سنة ١٣٦هـ (٧٥٣م) مروج الذهب جـ٢ ص ٣٠٦.

(٣٣) الفهرست ص ٤٧٩.

(٣٤) كما مر علينا أن المحمرة لقب من ألقاب الخرمية.

(٣٥) اليعقوبى: تاريخ اليعقوبى جـ٢ ص ٣٩٧، بن تغرى بردى: النجوم الزاهرة جـ٢ ص ٤٢.

(٣٦) مطهر بن طاهر: جـ٦ ص ٩٨.

(٣٧) الدينورى: الأخبار الطوال ص ٣٨٦، اليعقوبى: تاريخ اليعقوبى جـ٢ ص ٣٩٧، الطبرى: جـ٨ ص ١٤٣، مطهر بن طاهر: البدء والتاريخ جـ ٦ ص ٩٨، ابن الأثير. جـ٦ ص ٥٨، ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة جـ٢ ص ٤٢.

أنه ابن «أبى مسلم الخراسانى» أطلق عليه أتباعه «أبا غرة» فانضمت الحركتان فى زعامة واحدة بقيادة عبدالقهار الذى سار بهم الى «الرى» ثم كان من أمره ما تقدم[٣٨].

كما أن حركة خرمية أخرى ظهرت سنة ١٦٧ هـ (٧٨٣م) فى أصفهان وكان أغلب أتباعها من الفقراء، والمعدمين، لذلك سهل على العباسيين القضاء عليها لافتقار أتباعها للسلاح. والقيادة[٣٩].

أخذت حركات الخرمية بعد ذلك تتوالى، فكلما أُخمدت حركة ظهرت أخرى، لأنها تخمد كحركة عسكرية، بينما لم نسمع أى جهد قامت به الدولة العباسية لمناظرة طوائف الخرمية، ومناقشتها فيما طرحته من آراء وأفكار معادية للدين الإسلامى.

يذكر الطبرى فى أحداث «سنة ١٨٠ هـ» «٧٩٦م» تحركاً للمحمرة بجرجان فى زمن ولاية «على بن عيسى بن ماهان» الذى كتب للخليفة «هارون الرشيد»؛ أن الذى هيج تلك الحركة هو: «عمرو بن محمد العمركى» وأنه زنديق، فقتل بأمر من «هارون الرشيد» بعد القبض عليه بمدينة، «مرو»[٤٠].

ويبدو أن هذه الحركة لم تنته بمقتل «عمرو بن محمد العمركى»، بل نراها تتجدد مرة أخرى سنة ١٨١ هـ (٧٩٧م).

يقول الطبرى فى أحداث هذه السنة: «وفيها غلبت المحمرة على جرجان»[٤١]، ولكنه لا يذكر تفصيلا عن مصير هذه الحركة، بل يتركها مبهمة لا نعرف ما انتهت اليه، ولا نجد كذلك تفصيلا عنها فى الكامل، بل يزيد إبهاما، فيذكر فى أحداث تلك السنة خروج المحمرة فى «خراسان»، وينتهى عند ذلك[٤٢]، وربما خرج المحمرة فى هذه السنة فى كلا الاقليمين «جرجان، وطبرستان». ولا أجد تفسيرا لهذا الابهام سوى احتمالين:

---

(٣٨) شاكر مصطفى: دولة بنى العباس جـ٢ ص ٢٣٨.

(٣٩) المرجع السابق: جـ٢ ص ٢٣٩.

(٤٠) تاريخه: جـ٨ ص ٢٦٦، ابن الأثير: جـ٦ ص ١٥٢.

(٤١) الطبرى: جـ٨ ص ٢٦٨.

(٤٢) ابن الأثير جـ ٦ ص ١٥٩.

الأول : عدم توفر معلومات كافية لدى المؤرخين عن هاتين الحركتين.

الثاني : انهما لم تكونا من الأهمية ما يستحق تسجيل تفصيل عنهما حيث ظهرتا ضعيفتين وقضي عليهما في حينهما.

ومن خلال التتبع التاريخي السابق لحركات الخرمية، نلاحظ أنها تختفي بسرعة أمام حملات العباسيين، ولا تصمد كثيرا، وربما يكون ذلك راجع الى قلة امكانيات تلك الحركات المعادية وعدم توفر القادة الأكفاء الذين لديهم قدرة قيادية كبيرة بالاضافة الى أن الدولة العباسية لا تزال في عصرها الأول عصر القوة والنشاط ، وقد أخذت في هذه الفترة ـ النصف الثاني من القرن الثاني الهجري ـ تضرب بيد من حديد على أهل الزيغ، والأهواء من الزنادقة والفرق الخارجة على الإسلام والمسلمين.

كما أننا نلاحظ على تلك الحركات أنها اتخذت اسم «المحمرة» لقبا وهي الحركات التي ظهرت في السنوات «١٣٢ هـ (٧٤٩م)، ١٦٢ هـ (٧٧٨م)، ١٨٠ هـ (٧٩٦م)، ١٨١ هـ (٧٩٧م)« مما يدعم رأيي السابق الذي نفيت فيه أن تكون أول معرفة الخرمية بهذا اللقب كان في عهد «بابك الخرمي».

ينتقل مسرح الأحداث بعد ذلك الى منطقة أخرى جديدة وعرة المسالك، قاسية المناخ، هي بلاد «آذربيجان»، إذ تذكر الروايات التاريخية تحركا للخرمية للمرة الأولى في هذه المنطقة «سنة ١٩٢ هـ (٨٠٧م) في عهد الخليفة» «هارون الرشيد[٤٣]».

تناولت الروايات التاريخية هذه الحركة كأكثر الحركات الخرمية الأخرى بالاختصار المُخِل إذ أننا لم نعرف شيئا عن زعيم هذه الحركة والذى استطعنا أن نعرفه هو قائد الحملة التي وجهت للقضاء عليها، وهي معرفة مشوشة كذلك.

كل ما ذكره الطبري عن هذه الحركة قوله: (وفيها ـ أي سنة ١٩٢ هـ (٨٠٧م) تحرك الخرمية بناحية آذربيجان فوجه اليهم «الرشيد» عبدالله بن مالك في عشرة آلاف فارس، فأسر، وسبى، ووافاه، «بقرة ماسين، فأمر بقتل الأسارى، وبيع السبى)[٤٤].

(٤٣) الدينوري: الأخبار الطوال ص ٣٩٢، الحافظ شمس الدين الذهبي: العبر في خبر من عبر. ط ١٩٦٠م الكويت ، تحقيق د. صلاح الدين المنجد جـ ١ ص ٣٠٨.

(٤٤) تاريخه :جـ٨ ص ٣٣٩.

ولعل «هارون الرشيد» أدرك خطورة تلك الجماعة، سياسيا ودينيا، فحاول أن يستأصل شأفتها، ويقتلع جذورها، فكانت ضربته قاسية مؤلمة.

يذكر «مطهر بن طاهر» نفس الرواية التى أوردها الطبرى، سوى أنه يذكر إحصائية بعدد من قتلهم عبدالله بن مالك من الخرمية، فيذكر أنه قتل منهم ثلاثين ألفا(٤٥)، وهو رقم إن صح ـ يوحى بأن الخرمية وجدت فى هذه المنطقة الجديدة ـ آذربيجان ـ مرتعا خصبا لبث آرائهم، وأفكارهم، فتزايد الإقبال عليهم، وكثر من يعتنق أفكارهم، وهذا يرجع الى بعد آذربيجان عن قلب عاصمة الخلافة ـ بغداد ـ وقد كانت هذه البلاد مثار فتن مذهبية أيام العصر الساسانى أيضا ـ أى ضد دين زرادشت دين الدولة الرسمى(٤٦). وذلك لأن قبضة الدولة العباسية كانت تضعف كلما ابتعد الاقليم مسافة عنها؛ فالمواصلات لم تكن ميسرة كما هى اليوم، وبالتالى كانت صلة الخليفة بهذه المناطق تقل وتضعف مما شجع أهلها ـ تأثرا بالشعوبية(٤٧)ـ على الثورة والتجمع ضد الدولة العباسية، متلمسة الأسباب فى مثل قتل «أبى مسلم الخراسانى» هذا بالاضافة الى انتشار الفقر والجوع بين سكانها وبخاصة من يقطن الجبال منهم، لذلك نراهم يستجيبون لكل ناعق وبخاصة إذا رأوا أن لهم مصدر رزق فى ذلك؛ فكما رأينا من قبل اشتراكهم مع «مروان بن محمد» فى حربه ضد الدولة العباسية، وانضمامهم لحركة «خِداش»، ومن بعده «سنباذ»، تلك الحركات التى تُحَقِّقْ ما تنطوى عليه نفوسهم من حقد وكراهية للإسلام والمسلمين، وَتُتِيْح لهم السلب والنهب والفتك بالناس إشباعا لرغبتهم فى الكسب والثراء.

---

(٤٥) البدء والتاريخ جـ٦ ص ١٠٣.

(٤٦) الطبرى جـ١ ص ٥٤٠.

(٤٧) الشعوبية: مأخوذة من الشعوب، جمع شعب وهو جيل الناس وهى ليست عقيدة واضحة يمكن تحديدها بل أشبه بالديمقراطية، والارستقراطية، لا تعرف وطنا ولا جنسا معينا، بدأت بالدعوة الى مساواة العرب بالعجم استنادا لتعاليم الإسلام، الذى لا يفضل عربيا على عجمى إلا بالتقوى (إن اكرمكم عند الله أتقاكم) ـ الحجرات آية ١٣ ـ، ثم تطورت هذه النزعة إلى تفضيل العجم على العرب، والحط من شأن العرب بوسائل شتى، كانتقادهم لبعض ما عرفوا به واشتهروا كالبلاغة والخطابة والكرم، وبتأليف الكتب فى مثالب العرب ومناقب العجم، وبحياكة القصص وقرض الشعر من أجل ذلك، مدعين أن العرب ليسوا بأوسع ملكا من العجم وأن الإسلام الذى يفتخرون به ليس للعرب خاصة بل للناس أجمعين (الخوارزمى: مفاتيح العلوم ١٢٢ وقد تحدث عن الشعوبية بالتفصيل أحمد أمين فى كتابه ضحى الإسلام جـ ١ ص ٤٩ ـ ٧٨.

يورد ابن الأثير[٤٨] نفس الرواية، التى أوردها الطبرى ، ونفس الرواية نجدها أيضا عند كل من الوزير جمال الدين أبى الحسن ظاهر ابن حسين الأزدى الأنصارى[٤٩] وعبدالرحمن بن خلدون[٥٠].

أما خليفة بن خياط فيورد الرواية التالية: «وفيها ـ أى سنة ١٩٢ هـ ـ خرج الخرمية بالجبل فأغزاهم أمير المؤمنين هارون الرشيد «خزيمة بن خازم»، فقتل وسبى»[٥١]. فنلاحظ أن رواية «ابن خياط»، تتفق مع الروايات السابقة فى تاريخ الحملة، والخليفة الذى وجهها، إلا أنها تذكر أن قائد الحملة هو «خزيمة بن خازم».

ويورد الحافظ «الذهبى» الرواية نفسها، وإن لم يذكر من هو موجه الحملة، وإنما ذكر أنها حدثت سنة ١٩٢ هـ (٨٠٧م)[٥٢]، مما يوحى بأن الذى وجهها «هارون الرشيد».

وينفرد أبو حنيفة الدينورى بذكر رواية مختلفة عما سبق، إذ يقول: «ودخلت سنة اثنتين وتسعين ومائة، وفيها خرجت الخرمية بأرض الجبل[٥٣] فى المرة الأولى، فوجه اليهم «محمد الأمين» بعبدالله ابن مالك الخزاعى، فقتل منهم مقتله عظيمه وشرد بقيتهم فى البلدان»[٥٤].

فهو وإن اتفق مع الطبرى فى أن القائد «عبدالله بن مالك»، إلا أن الذى وجهه «محمد الأمين» مما يزيد الأمر غموضا، وتعقيدا، إلاأن هذا الغموض يتضح قليلا إذا تعرفنا على رواية ابن كثير، التى يقول فيها: (وفيها »أى سنة ١٩٢ هـ» خرجت الخرمية بالجبل، وبلاد آذربيجان، فوجه الرشيد اليهم، «عبدالله بن مالك بن الهيثم الخزاعى» فى عشرة

---

(٤٨) الكامل فى التاريخ جـ ٦ص ٢٠٨.
(٤٩) الدول المنقطعة (مخطوط) الورقة ١١٢/أ.
(٥٠) العبر وديوان المبتدأ والخبر (تاريخ ابن خلدون): ١٣٩١هـ (١٩٧١م) جـ٣ ص ٢٢٧.
(٥١) تاريخ خليفة بن خياط . ط ١٣٨٦هـ (١٩٦٧م) تحقيق أكرم ضياء العمرى جـ١ ص ٤٩٥.
(٥٢) العبر فى خبر من غبر جـ١ ص ٣٠٨.
(٥٣) يعنى الدينورى بأرض الجبل «آذربيجان» إما لأن الغالب على تضاريسها الجبال أو لوقوع جبل «البذ» فيها، وهو الذى انطلق منه بابك الخرمى متزعما حركة الخزمية.
(٥٤) الأخبار الطوال ص ٣٩١ ـ ٣٩٢.

آلاف فارس فقتل منهم خلقا، وأسر وسبى ذراريهم، وقدم بهم بغداد، فأمر له الرشيد بقتل الرجال منهم، وبالذرية فيبيعوا فيها وكان قد غزاهم قبل ذلك «خزيمة بن خازم»[(٥٥)].

ونفس الرواية يذكرها بن الأثير كذلك[(٥٦)].

أستطيع أن أخرج من كل ذلك، بأنه كان للخرمية فى هذه السنة حركتان: الحركة الأولى قضى عليها، «خزيمة بن خازم» الذى وجهه هارون الرشيد أما الحركة الثانية، فالذى قضى عليها «عبدالله بن مالك بن الهيثم الخزاعى» والذى وجه هذه الحملة هو «محمد الأمين» فى عهد والده «هارون الرشيد»، لأن «الرشيد» فى هذه الفترة كان قد اتجه الى «خراسان» ليخضع فتنة قام بها «رافع بن الليث»، الذى خلع طاعته، واستقل «بسمرقند»[(٥٧)]، وغيرها من البلاد[(٥٨)].

كما أننى أستطيع أن أقول كذلك: ان انتقال مسرح الأحداث الى مناطق «آذربيجان» يعتبر نقطة تحول كبير فى تاريخ الخرمية، الذين آلت زعامتهم ـ أخيرا ـ الى «جاويذان بن سهرك[(٥٩)] صاحب مدينة البَذّ[(٦٠)] الذى كان يُعِدَّهم، ويهُيّمَ للظهور فى وجه الدولة العباسية، إلا أنه مات قبل أن يحقق هذا الهدف، ولى أن أقول: أن تطلعات جاويذان، والأفكار التى رسمها ولقى حتفه فى سبيلها، لم تذهب سدى بل كُتب لها النجاح على يد تلميذه «بابك الخرمى»، الذى تبنى تلك الأفكار، بعد أن خَلَف استاذه فى زعامة الخرمية فقادهم ضد الدولة العباسية، بعد أن أكمل إعدادهم وتدريبهم فى حركة خطيرة عرفت بحركة «بابك الخرمى»[(٦١)]

---

(٥٥) البداية والنهاية: جـ١٠ ص ٢٠٧، وهذه الرواية ذكرها العينى كذلك فى مخطوطة عقد الجمان فى تاريخ أهل الزمان. مخطوطة بدار الكتب المصرية برقم ٨٢٠٣ ح . جـ ١٢ ص ٥٤.

(٥٦) الكامل فى التاريخ: جـ٦ ص ٢٠٨

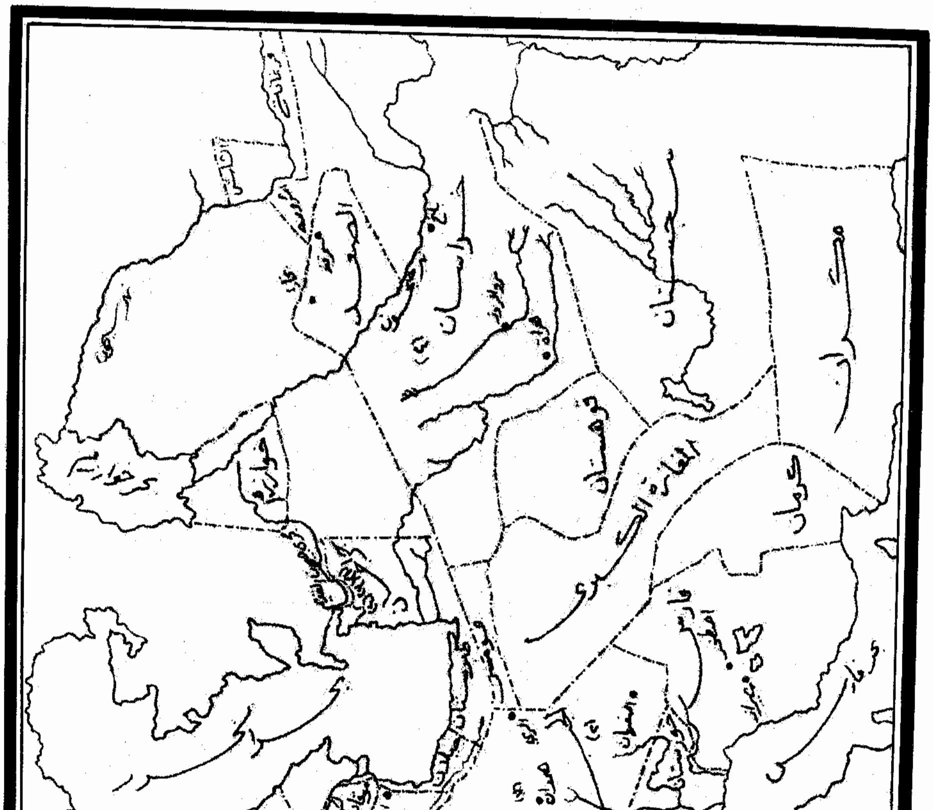
(٥٧) بلدة مشهورة فى جمهورية أزبكستان، من الاتحاد السوفيتى اليوم شرق بخارى (صلاح الدين المنجد: معجم أماكن الفتوح ص ٧٣٤).

(٥٨) الدينورى: الاخبار الطوال ص ٣٩١، الطبرى جـ ٨ ص ٣٣٨، ابن كثير: البداية والنهاية جـ ١٠ ص ٢٠٧

(٥٩) معنى «جاويذان» الدائم. ابن الأثير جـ ٦ ص ٣٢٨.

(٦٠) يذكر عبدالله البكرى «البذّ» بقوله: («البذ» بفتح أوله، وتشديد ثانيه على وزن فعل، وهو اسم حصن بابك بأذربيجان..) معجم ما استعجم جـ ١ ص ٢٣٥، ويقول ياقوت الحموى: «بذ: بتشديد الذال المعجمة كورة (مدينة) بين آذربيجان وأران، بها كان مخرج بابك» معجم البلدان جـ ١ ص ٣٦١.

(٦١) نظرا لأهمية هذه الحركة فاننا سنفرد لها بحثا مستقلا إن شاء الله تعالى.


المناطق التى ظهرت فيها حركات الخرمية
ميل
الفلاة الكبرى
خراسان
كرمان
مكران
سجستان
قوهستان
فارس
إقليم الروم

تحليل الخريطة:

هذه الخريطة[٦٢] تمثل المناطق التى ظهرت وانتشرت فيها حركات الخرمية، وفيما يلى نثبت الأرقام التى نعرف بواسطتها موقع كل حركة على الخريطة، وذلك على النحو التالى:

١ ـ حركة الخُرَّمِيَّةِ عام ١٦٢ هـ : ٧٧٨ م
٢ ـ حركة الخرمية عام ١٦٧ هـ : ٧٨٣ م
٣ ـ حركة الخرمية عام ١٨٠ هـ : ٧٩٦ م
٤ ـ حركة الخرمية عام ١٨١ هـ : ٧٩٧ م
٥ ـ حركة الخرمية عام ١٩٢ هـ : ٨٠٧ م
٦ ـ حركة الخرمية بعد عام ١٩٢ هـ : ٨٠٧ م «بزعامة جاويذان بن سهرك».
٧ ـ حركة الخرمية عام ٢٠١ هـ : ٨١٦ «بزعامة بابك الخرمى».

ولعل الدارس يلحظ أن أغلب تلك الحركات قد تركزت فى البلاد المحيطة ببحر قزوين؛ «جرجان» و «طبرستان» و «آذربيجان»؛ كما هو الحال بالنسبة لحركات الخرمية فى الأعوام ١٦٧ هـ ، ١٨٠ هـ، ١٨١ هـ التى ظهرت باقليم جرجان، والحركات فى الأعوام ١٩٢ هـ ، وبعد ١٩٢ هـ و ٢٠١ هـ التى تركزت فى آذربيجان، وما ذلك ـ فيما يبدو لى ـ إلا لصعوبة مناخ وتضاريس هذه الأقاليم. مما يصعب معه الوصول اليها بيسر وسهولة، بالاضافة الى قرب آذربيجان ـ النسبى ـ من بلاد الروم، العدو اللدود، للدولة العباسية، وسنرى ثمار هذه الميزة فى احتماء الخرمية أيام بابك الخرمى بدولة الروم، التى رحبت بهم وقدمت لهم يد العون والمساعدة.

(٦٢) اعتمدت فى هذه الخريطة على، كى لسترنج: بلدان الخلافة الشرقية ما بعد ص ١٤.